جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية

بنين بجرجا

اتساق بنية الفعل المضعف عند الإسناد مع طبيعة المقطع

الدكتور

جمال دليع العريني

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الأميرة عالية / جامعة البلقاء التطبيقية

العدد الخامس عشر

للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الخامس

الملخص

الاتّساق سمة بارزة في نظام اللغة العربية، ويبرز على مستوى المفردة، والجملة، والنص، وقد حاولت هذه الدراسة إبراز أدوات الاتساق التي تتخذها اللغة في الفعل المُضعَّف عند إسناده إلى ضمائر الرفع، ومن هذه الأدوات إدغام الصوت المُضعّف، سواء كان هذا الإدغام واجبا كما في المواضع الكثيرة التي حددها الصرفيون، أو جائزا في المضارع إذا أسند إلى اسم ظاهر، أو ضمير مستتر وكان مجزوما ، أو ممتنعا، وذلك إذا اتصل به ضمير رفع متحرِّك في الماضي، أو إذا أُسند إلى نون النسوة في الأمر، ومنها حذف لام المضعّف مع إقحام الياء، وهذه الظاهرة متفشية في العربية، و قد أشار إليها القدماء إشارات سريعة، وعدوها من باب الشذوذ الذي لا يقاس عليه، مع كثرة الشواهد عليها، وهي ظاهرة صوتية تنسجم مع القوانين الصوتية، و تلجأ إليها اللغة كوسيلة من وسائل اتساق بناء الكلمة مع طبيعة النسيج المقطعي إذا حدث خرق في طبيعة النظام ، ومنها أيضا حذف عين المضعّف عند إسناده للضمير المتحرِّك، ويجيزون فيه ثلاثة أوجه: الإتمام بدون حذف، وحذف العين مع نقل حركتها للتاء، وحذف العين بدون نقل حركتها.

الكلمات المفاتيح: الاتساق، الصرف، المضعف، الإدغام، الإسناد، الضمائر .

تمهيد:

اتسعت دراسة الصرف العربي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، وأصبح الربط بين الظواهر الصوتية والصرفية في الدرس اللغوي الحديث موضع اهتمام كبير لدى الباحثين، لما لذلك من أهمية في تفسير كثير من الظواهر اللغوية، وقد كشفت الدراسات الصوتية أنّ دراسة الأصوات تُعدّ القاعدة الأساسية للدراسات الصرفية، وبات من الواضح أنّ ثمة ظواهر صرفية ترتبط بأخرى صوتية، وأنّ كثيرا منها لا يمكن تفسيره إلاّ على أساس صوتي[١]وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أنّ كلّ دراسة صرفية تهمل هذا المنهج الذي نشير إليه من أهمية المقررات الصوتية لمباحث الصرف لابدّ أن يكون مصيرها الإخفاق والفشل، مشيرا إلى رأي فيرث الذي يقرر أنّه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات[٢].

ومن بين الظواهر الصوتية التي ربطها المحدثون بأخرى صرفية المقطع الصوتي، إذ تناولته الدراسات اللغوية الحديثة من كل جوانبه، محاولة بيان كنهه، ومكوناته، وتعريفه، وأنواعه، وفُسِّرت بعض القضايا الصرفية على أساسه، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق ببعض قضايا الإعلال .

والمقاطع في اللغة العربي خمسة، تتباين من حيث انتشارها، فبعضها شائع بكثرة، وبعضها عزيز لا يوجد إلاّ بضوابط محددة سنشير إليها في مكانها من هذه الدراسة، وهي[٣]:

---

(١) شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية :٩

(٢) بشر : علم اللغة العام ، الأصوات اللغوية : ١٨٥

(٣) حجازي : (١٩٧٨) : مدخل إلى علم اللغة: ٤٧

١. المقطع القصير المفتوح : يبدأ بصامت وينتهي بحركة قصيرة، ورمزه (ص ح)، وهذا أكثر المقاطع شيوعا، ومنه يتشكل بناء الفعل الثلاثي المجرد : فَعَلَ، وفَعُلَ، وفَعِلَ، فكل بناء منها يتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة هي: (ص ح) (ص ح) (ص ح)، كما أنه ينتشر في كثير من الأبنية الأخرى.

٢. المقطع المتوسط المغلق : يبدأ حدّه الأول بصامت وينتهي حدّه الثاني أو ذيله بصامت، وبينهما حركة قصيرة ، ورمزه (ص ح ص) وهو شائع بكثرة، ومنه يتشكل بناء : كم ،و من، و قد.

٣. المقطع المتوسط المفتوح : يبدأ حدّه الأول بصامت، وينتهي حدّه الثاني أو ذيله بصائت طويل، ورمزه (ص ح ح) وهو منتشر بكثرة، ومنه يتشكل بناء : ما ،و لا،و قا، و فا.

٤. المقطع الطويل المغلق بصامت: : يبدأ حدّه الأول بصامت، وينتهي حدّه الثاني أو ذيله بصامت، وبينهما صائت طويل يشكل نواة المقطع، ورمزه (ص ح ح ص) وهوغير شائع في اللغة العربية، ولا يوجد إلاّ وفق ضوابط محددة، ومنه يتشكل بناء: ماتْ ، و لامْ، و قالْ في حالة الوقف، والمقطع الأول من: مادّة، حادّة، طامّة.

٥. المقطع الطويل المغلق بصامتين: : يبدأ حدّه الأول بصامت، وينتهي حدّه الثاني أو ذيله بصامتين، وبينهما صائت قصير يشكل نواة المقطع، ورمزه (ص ح ص ص) وهونادر ولا يوجد إلاّ في المفردات الساكنة الوسط عند الوقف، مثل : أختْ، وبنتْ، و قلبْ.... وما شاكلها.

الاتساق سمة في بناء الكلمة العربية: الاتساق لغة هو الجمع والانضمام والامتلاء، وقد ورد في قوله تعالى (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)[١] قال الفراء: وما وسَق أي وما جمع، و اتّساق القمر امتلاؤه واجتماعه ليلة ثلاث عشرة إلى ست عشرة[٢].

والاتّساق سمة بارزة في نظام اللغة العربية، ويبرز بشكل كبير في نسيج الكلمة المقطعي، فالبنية المقطعية هي علاقات تربط عناصر الكلمة بحيث تبدو نسيجا موحَّدا، إذ تمتلك عناصر أيَّة بنية وحدة داخليَّة تكفل بأن يكون فيها كلُّ عنصر جزءاً من الكلمة، ولا يستطيع المتكلم أن يغير طبيعة هذا النسيج، فإذا حصل ذلك لسبب ما فسوف يكون هناك خرق تأباه اللغة، سرعان ما تتم معالجته وفق أدوات الاتساق .

وترى الدراسات الصرفية الحديثة أنّ أهمّ شئ في تصريف الكلمة العربية هو إدراك نظامها المقطي، وأنّ التغيير الذي يحدث فيها مرده تصادم وضعها الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي في اللغة، مما يلزم تعديلها وإعادة اتساقها وفقا لطبيعة النظام المقطعي[٣].

---

(١) الانشقاق :١٧ ، ١٨

(٢) الفراء: معاني القرآن٣/٢٥١،والفيومي:المصباح المنير (وسق).

(٣) شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية : ٤٠

اتساق بنية الفعل المُضعّف عند الإسناد مع طبيعة المقطع :

سنقف عند أدوات الاتساق التي تتخذها اللغة مع طبيعة المقطع عند إسناده، وقبل الوقوف عند هذه الأدوات سنبيّن مفهوم التضعّيف في الفعل وكنهه من الناحية الصوتية.

الفعل المُضعَّف: في اللغة العربية نوعان من الفعل المضعَّف : مُضعَّف الثلاثي؛ وهو ما كانت عينه و لامه من جنس واحد، مثل: شدَّ، ومدَّ، وفرَّ، ومضعف الرباعي، وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وعينه و لامه الثانية من جنس آخر، مثل: زلزل، وسلسل.

والذي يعنينا هنا النوع الأول، لأنه محل نظر الصرفيّ كما يقول الصرفيون(١) ويعرّفه سيبويه بقوله" التضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع"(٢)، و هذان الحرفان لهما صورتان: فقد يكونان مفكوكين، نحو رَدَدْتُ، و وَدِدْتُ، و قد يكونان مدغمين وجوبا، وذلك إن سكن أول المِثْلين، نحو: شدَّ، و مدَّ(٣) ، و قد يقعان في آخر الكلمة نحو هذا الذي ذكرت ، وقد يقعان في أولها، نحو : تتنزل، أو داخلها، نحو:اقتتل، و استتر.

والمضعّف المدغم صوتان من جنس واحد، الأول ساكن، والثاني متحرك، ومعناه أن تنطق بصوتين من مخرج واحد دفعة واحدة، بحيث يصيران حرفا مشددا، وبتعبير القدماء "أن تأتي بحرفين

---

(١) الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف: ٢٧
(٢) سيبويه، الكتاب: ٥٢٩/٣
(٣) الاستراباذية: شرح شافية ابن الحاجب : ٢٣٦/٣

ساكن فمتحرّك من مخرج واحد من غير فصل"[١]، أي أنّ المضعّف المدغم صوتان من جنس واحد ، وإلى هذا ذهب بعض المستشرقين[٢] وبعض المحدثين من العرب[٣]، في حين أنّ بعضهم يرى أنّ المضعّف المدغم صوت واحد يستغرق نطقه زمنا يساوي ضعف الزمن الذي يستغرقه نطق الصوت غير المضعّف، وليس صوتين من جنس واحد[٤]ولعلّ هذا هو الصواب، ويتضح لنا ذلك جليا من خلال النظر في نطق الأصوات الشديدة أو الوقفات كما يسميها المحدثون، إذ لا بدّ من ثلاث مراحل لإنتاج الوقفة أو الصوت الشديد، وهي: إلتقاء عضويّ النطق، وحبس الهواء، ثم انفراج عضويّ النطق، يقول فندريس:" ففي كل ساكن انفجاري ثلاث خطوات متميِّزة: الإغلاق أو الحبس، والإمساك الذي قد يكون طويل المدى أو قصيره، والفتح أو الانفجار"[٥]، وهذا ما يحدث عند نطق الصوت المُضعّف تماما.

ثقل التضعيف:

يذكر القدماء أنّ التضعيف أو توالي الأمثال أثقل على اللسان من اختلاف الحروف، وفي هذا يقول سيبويه عن العرب: " اعلم أنّ التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأنَّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد، ألا ترى أنَّهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة

---

(١) السابق : ٢٣٣/٣
(٢) برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية :٣٤
(٣) شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية: ٧٠ ، وعبده، داود: أبحاث في اللغة: ٣٠
(٤) عبدالتواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٩٧
(٥) فندريس : اللغة : ٤٨

على مثال الخمسة نحو ضَرَبَّبٍ، ولم يجئ فَعَلَّلٌ ولا فَعُلَّلٌ إلا قليلاً، ولم يبنوهن على فُعَالِلٍ كراهية التضعيف ؛ وذلك لأنَّه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثمَّ يعودوا له"(١).

وقلما نجد مَن يتحدّث عن التضعيف من القدماء دون أن يشير إلى أنه ثقيل على ألسنتهم، وهو أمر لا نختلف معهم فيه، وإنما نختلف معهم في علة الثقل، فهم يعزون ذلك إلى أنّ المتكلم يثقل عليه نطق صوتين متتالين من مخرج واحد، يقول سيبويه: إنه" يثقل عليهم أنْ يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له"(٢)، وهذا كلام بحاجة إلى مناقشة، لأنه يتنافى مع المُضعّف في حالة الفك، نحو سدَدْتُ، ومدَدْتُ، إذ يُستعمل اللسان في موضع الدال ثم عاد إليه دون استثقال، مع علمنا بأنَّ الصوتين قد فُصِل بينهما بصائت قصير، وهو أمر لا يؤثر كثيرا في معيارهم، إذ نجدهم يجعلون تباعد المخارج بين الأصوات في الكلمة الواحدة علامة على فصاحة الكلمة.

و المخرج الواحد قد يخرج منه أكثر من صوت، مثل: التاء، والدال، والطاء، ولربما يكون بعض هذه الأصوات متتاليا في كلمة واحدة، نحو: التاء، والدال في تدحرج، و التاء والطاء في تطهّر، أي بتعبير سيبويه استعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم عادوا إليه، دون أن يكون ثقيلا أيضا.

وعليه فإنّ الثقل ليس من جرّاء استعمال ألسنتهم من موضع واحد، و إنما هو مرتبط بأمور أخرى، منها اتساق بناء الكلمة مع

---

(١) سيبويه: الكتاب : ٤/ ٤١٧

(٢) سيبويه، الكتاب: ٤/ ٤١٧، و الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٣٨/٣

طبيعة المقطع العربي، إذ تعمد اللغة إلى الاتساق مع خصائص المقطع على النحو الذي سنبيِّنه في هذه الدراسة، من خلال أدواتها في هذه المسألة، وهي: الإدغام ، والفك، وإقحام الياء، والحذف، فلكلّ وسيلة منها دور في تحقيق الاتّساق المنشود داخل الكلمة .

أدوات اتساق بنية الفعل المُضّعف مع طبيعة المقطع:

المقطع في الكلمة العربية هو المحور الذي يقوم عليه بناؤها، و خصائصه لها الدور الأكبر في شكل هذا البناء، وما يحدث فيها من تبدلات وتغيرات صوتية تهدف في مجملها إلى الاتساق مع طبيعة المقطع، وهذا الاتساق له أدوات واضحة ومقننة، وسنقف في هذه الدراسة عند أدوات اتساق بنية الفعل المُضعّف الآخر المُسند إلى الضمائر مع البنية المقطعية، وأهم هذه الأدوات ما يأتي :

١. إدغام الصوت المُضّعّف:

وهو إحدى وسائل الاتساق الصرفي الذي تلجأ إليه اللغة لكيلا يحدث خلل في طبيعة نسيجها المقطعي، وذلك عندما يصطدم بناء الكلمة الأصلي مع طبيعة المقطع وخصائصه، وستكشف لنا الدراسة عن هذه الحقيقة، من خلال الوقوف عند أحكام الإدغام الثلاثة: الواجب، والجائز، والممتنع، في الفعل الثلاثي المُضعّف عند الإسناد.

إنّ شكل الحرفين المِثْلين اللذين قد يحدث فيهما الإدغام ينحصر في ثلاثة أوضاع، و هي: وجوب الإدغام، مثل: مرٍّ و مدَّ، أو منعه مع تسكين آخر الفعل مثل: مَرَرْتُ، و مَدَدْتُ، أو جوازه مثل: لم يمرّ، ولم يمْرُر، وسبب ذلك كله يعود إلى ضرورة اتساق بنية الفعل مع طبيعة المقطع وخصائصه، من خلال إحداث التغييرات البنيوية الآتية، بحسب مايقتضيه النسيج المقطعي للفعل، وسنقف عند كل

واحد من هذه الأوضاع لنرى كيف يكون وسيلة من وسائل اتساق المضعّف مع طبيعة المقطع في العربية، وهي كما يأتي:

وجوب الإدغام:

ففي هذه الحالة تلجأ اللغة في مواضع محددة إلى الإدغام، وقد حدد الصرفيون المواضع التي يجب فيها الإدغام وهي[١]:

١. إذا أُسند في الماضي إلى اسم ظاهر أو ضمير مستتر، مثل: مرّ خالد و خالد مرّ، فالفعل مرّ في حالة الإدغام يتكون من مقطعين: متوسط، وقصير / ص ح ص/ ص ح/ وهذا النسيج المقطع مألوف ومحبب في اللغة، بينما لو لم يكن هناك إدغام لتكونت الكلمة من ثلاثة مقاطع صغيرة: مَـرَرَ/ص ح/ص ح/ص ح/ وهذا النسيج المقطعي المتتالي من مقاطع قصيرة مكروهة في العربية، لذا لجأت اللغة للإدغام للتخلص منه، وإلى هذا المعنى يشير سيبويه بقوله:"وكلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن"[٢].

٢. إذا اتصلت به تاء التأنيث الساكنة، نحو: فاطمة مـرّتْ، فلولا الإدغام لتوالى مقطعان قصيران و صوتان متماثلان متتاليان، مَرَرَتْ: /ص ح/ ص ح/ص ح ص/ وهذا مكروه في اللغة إذا توالى صوتان متماثلان، لذا جاء الإدغام ليتشكل مقطعان متوسطان يحولان دون توالي المثلين في مقاطع صغيرة متواليـة مستكرهه، وذلك من خلال السكتة الخفيفة الحاصلة عند الإدغام، فصار النسيج

---

(١) الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف: ٦٠، ٦١
(٢) سيبويه : الكتاب : ٤/ ٤٣٧

المقطعي عند الإدغام للفعل مرَّتْ من مقطعين متوسطين، همـــا: /ص ح ص/ ص ح ص/ وهو نسيج مألوف ومحبذ في اللغة، .

٣. إذا أُسنِد في الماضي إلى ألف الإثنـــين، أو واو الجماعـــة، مثل: الزيدان مرَّا، والزيدون مرّوا، ففي هذه الحالـــة يتكـــرر الأمـــر نفسه، فعند الإدغام يتكوّن الفعل من مقطعين متوسطين، هما: /ص ح ص/ ص ح ح/ وهو نسيج مألوف ومحبذ في اللغة، وفي حالة الفك يكون عندنا مقطعان قصيران و صوتان متماثلان متتاليان: مَـــرَروا، ومَرَرا: /ص ح/ ص ح/ص ح ح/ وهذا مكروه في اللغة إذا توالى صوتان متماثلان، لذا لجأت اللغة إلى الإدغام تخلصا من هذا الـــنمط من المقاطع.

٤. إذا كان فعلا من الأفعـــال الخمســـة، أي إذا اتصـــل بـــألف الإثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة فـــي المضـــارع، نحـــو: يمرّان، ويمرّون، وتمرّين، ففي عدم الإدغام يتكون الفعل من ثلاثـــة مقاطع قصيرة، ورابع طويل مغلق بصامت، كمـــا يـــأتي: يَمُـــرُران، يَمُرُرون، تَمُرُرين، وكل واحد منها يتكوَّن نسيجه المقطعي من: /ص ح/ /ص ح/ص ح/ص ح ح ص/ وهنا يتوالى ثلاثة مقاطع قصـــيرة، وهذا مستكره في العربية فتلجأ إلى الإدغام لإعـــادة بنـــاء النســـيج المقطعي بما يتناسب مع خصائص المقطع في العربية، وبـــه يكـــون بناء الكلمة من ثلاثة مقاطع: قصير، فمتوسّط، فطويل مغلق بصامت عند الوقف، كما يأتي: يَمُـــرّان:/ص ح/ ص ح ص/ص ح ح ص/، وهذا النسيج مألوف ومحبب في العربية

والأمر نفسه يتكرر عند الإسناد إلى واو الجماعة، يَمـــرّون: /ص ح/ ص ح ص/ص ح ح ص/ ، وياء المخاطبة، تمـــرّين: /ص

ح/ ص ح ص/ص ح ح ص/، وكذلك الحال عند إسناده إلى هذه الضمائر في الأمر، مثل: مرّا، . ومرّوا، ومرّي.

٥. إذا أسند في المضارع إلى اسم ظاهر، أو ضمير مستتر، ولم يكن مجزوما، نحو: يمرّ خالد، ففي عدم الإدغام يتكوّن بناء الفعل من أربعة مقاطع قصيرة ومتوالية، كما يأتي: يَمُرُرُ/ص ح/ ص ح/ /ص ح/ ص ح/ وهذا التتابع لهذا العدد من المقاطع القصيرة مرفوض في العربية، لذا تلجأ إلى الإدغام ليتحوّل النسيج المقطعي إلى ثلاثة مألوفة في اللغة: قصير، فمتوسّط، فقصير، يَمُرُّ خالد: /ص ح/ص ح ص/ص ح/، والأمر نفسه يتكرر عند الإسناد إلى الضمير المستتر: خالد يمرُّ، وكذلك الحال في حالة النصب: لن يمرَّ خالد.

وبهذا يتضح لنا أنّ الإدغام وسيلة من وسائل اتساق الفعل المُضعّف الآخر مع البنية المقطعية للغة العربية، وهذه الوسيلة تلجأ إليها اللغة حفاظا على طبيعة المقطع وخصائصه ، كما تلجأ أحيانا إلى تحقيق هذه الغاية من خلال النقيض للإدغام وهو الفك .

وجوب فك الإدغام مع تسكين آخر الفعل:

يجب فك الإدغام في المضعّف الثلاثي في موضعين: إذا اتصل به ضمير رفع متحرّك في الماضي، أو إذا أُسند إلى نون النسوة في الأمر، وفي الموضعين نلحظ أنّ آخر الفعل ساكن، وهو ما يعتقد الصرفيون أنه سبب لفك الإدغام[١] والحقيقة أنّ الأمر مرتبط بمبدأ اتساق بنية الفعل الثلاثي المضعّف مع طبيعة المقطع وخصائصه.

---

(١) المراغي، وعلي: تهذيب التوضيح: ٥٣

إنَّ لزوم تسكين الفعل عند إسناده إلى ضمائر الرفع، بما في ذلك الفعل السالم، نحو: فهمْتُ، وفهمْنَ، والمضعّف نحو: مددْتُ، و مددْن لدليل على أنَّ فك الإدغام ليس سببه التسكين كما يقول الصرفيون، وإنما الفك والتسكين معاً وسيلة من وسائل اتساق المضعّف الثلاثي مع طبيعة المقطع، لننظر إلى البناء المقطعي في الموضعين السابقين كيف يكون في حالتي التضعيف وعدمه:

١. إذا اتصل المُضعّف الثلاثي بأحد ضمائر الرفع المتحركة، وهي: تاء الفاعل، نحو: مددْتُ، ومددْتَ، ومددْتِ، ونون النسوة، نحو: هنَّ مددْنَ، ونا الدالة على الفاعلين، نحو: نحنُ مددْنا، ففي هذه الحالة يتكوّن النسيج المقطعي للمضعّف المسند إلى هذه الضمائر قبل الإدغام والتسكين من أربعة مقاطع صغيرة متتالية، وعند إسناده إلى نا الدالة على الفاعلبن يتكوّن من ثلاثة مقاطع صغيرة متتالية، ورابع متوسط مفتوح، وهو شبيه بالصغير غير أنّه مختوم بحركة طويلة، وهو بهذا كأنما توالى فيه أربعة مقاطع صغيرة، ولو أنّ بناء الفعل الماضي جاء على أصله عند إسناده إلى ضمائر الرفع، أي البناء على الفتح، لكان بناؤه المقطعي كما يأتي:

مدَدَتُ: /ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/

مدَدَتَ: /ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/

مدَدَتِ: /ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/

مدَدَنَ: /ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/

مدَدَنا: /ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح/

وهذا نسيج مقطعي مرفوض في العربية، لذا لجأت اللغة لمعالجة هذا الخرق في البناء المقطعي بتسكين آخر الفعل مع الإبقاء على فك

الإدغام، ليتسق بناء الفعل مع طبيعة المقطع في اللغة العربية، فيصير بناؤه المقطعي على النحو الآتي:

مدَدْتُ: /ص ح/ ص ح ص/ ص ح/

مدَدْتَ: /ص ح/ ص ح ص/ ص ح/

مدَدْتِ: /ص ح/ ص ح ص/ ص ح/

مدَدْنَ: /ص ح/ ص ح ص/ ص ح/

مدَدْنا: /ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح/

وهو نسيج مقطعي كثير الانتشار في اللغة، كما يتكرر اتساق بناء الفعل الثلاثي المضعّف مع طبيعة المقطع في الموضع الثاني، وهو:

٢. إذا أسند إلى نون النسوة في الأمر: ومثال ذلك: امددْن، إذ يُؤتى بهمزة وصل أولا، ثم تسكين آخر الفعل مع الإبقاء على الفك ليتشكل النسيج المقطعي من ثلاثة مقاطع كما يأتي: اشْددْنَ/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ وهو بناء مقطعي محبّذ ومألوف في اللغة.

جواز الإدغام والفك:

يجوز إدغام المضعّف الثلاثي وفكه في المضارع إذا أسند إلى اسم ظاهر، أو ضمير مستتر وكان مجزوما، مثل: لم يمدَّ محمد، ولم يمْدُدْ محمد، ومحمد لم يمدَّ، ومحمد لم يمدُدْ[١].

---

(١) المراغي، وعلي : تهذيب التوضيح : ٥٣

وسبب جواز الإدغام والفك هنا أنّ الجـزم يقتضـي حـذف الحركة، أي سكون آخر الفعل، فيتكوّن النسيج المقطعي من مقطعين متوسطين في حالة الفك هكذا: يمْـدُدْ /ص ح ص/ص ح ص/ وهـو نسيج مقطعي طبيعي، وفي حالة الأدغام يتكوّن النسيج المقطعي من ثلاثة مقاطع: صغير، فمتوسط، فصغير: يمدَّ /ص ح/ص ح ص/ ص ح/ وهو نسيج طبيعي أيضا، ولا خرق فيه لطبيعة المقطع، فلهذا جاز فيه الإدغام والفك.

وبهذا يتضح لنا أنّ تسكين آخر الفعل، وإدغام المضعّف، وفكّ إدغامه، ما هي إلاّ وسائل تلجأ إليها اللغـة لإعـادة اتسـاق بنـاء المضعّف الثلاثي عند إسناده، وذلك إذا ما حدث خـرق فـي طبيعـة نسيجه المقطعي.

حذف لام المضعّف وإقحام الياء :

إنّ أي تغيير يحدث في بنية الكلمة العربيـة سـببه تصـادم وضعها الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي في اللغة [١]، وسـبق أن اتضح لنا أنّ تسكين آخر الفعل وإدغام المضعّف ، وفك إدغامه مـا هي إلاّ وسائل تلجأ اليها اللغة لإعادة اتساق بناء المضعّف الثلاثـي عند إسناده، خضوعاً لضرورة النظام، وسنرى أنّ حذف لام المضعّف و إقحام الياء ما هو إلاّ وسيلة أخرى لاتساق المضعّف الثلاثي مـع النظام المقطعي .

---

(١) شاهين المنهج الصوتي : ٤٠

والياء عند علماء العربية القدماء تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[١] وهو المخرج نفسه الذي يطلق عليه المحدثون الغار أو الطبق اللين، وهي صوت صامت (أو نصف حركة) غاري مجهور يضيق عند خروجه مجرى الهواء بحيث يُحدثُ احتكاكاً مسموعاً، وهي بهذا تختلف عن الكسرة الطويلة الخالصة التي لا يقف في طريق الهواء حال النطق بها أي عائق أو مانع، ثم إنّها تأتي ساكنة بعد فتح [٢] كما في بَيْت، وتأتي متلوة بحركة كما في يأسر شأنها شأن بقية الصوامت .

إنّ اتخاذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنطق الياء من مكان الكسرة، أو قريب منه، يجعل من الياء مرحلة يمكن عندها أن تتحوّل الحركة إلى صامت أو العكس ، ولعلّ هذه الميزة في الياء هي التي أدت إلى حذف لام المضعّف، وإقحام الياء تحقيقاً إلى اتساق بناء المضعّف مع طبيعة النظام المقطعي .

وقد أشار القدماء إلى هذه الظاهرة، وعللوها بكراهية التضعيف، يقول سيبويه في باب ما شذ فأُبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطّرد، وذلك قولك: تسرَّيت، وتقصّيت من القصة، وأمليت[٣] والأصل: تسرّرْتُ وتظننّت، وتَقصّصْتُ، وأملَلْتُ،

---

(١) سيبويه : الكتاب: ٤/٤٣٣ ، والأنصاري : شرح جمل الزجاجي : ٤٤٥، وابن السراج : الأصول في النحو: ٤٠٠

(٢) أنيس : علم اللغة العام، الأصوات اللغوية : ١٣٣، ١٣٥ ، وعبدالجليل: علم اللسانيات الحديث: ٣١٢ والشايب، محاضرات في اللسانيات: ٢٠٢

(٣) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٢٤

وأورد أبن جني مثل ذلك قول العرب: قصّيتُ أظفاري وهو من لفظ (ق ص ص) ، وتلعّيتُ من اللعاعة – أي خرجت أطلبها– وهي نبت، وهو من (ل ع ع)، والأصل: قصّصْتُ، وتلعَّعْتُ[١] .

ويورد ابن يعيش من هذا القبيل قولهم : أمليت، وقصّيت أظفاري، وتسرَّيت وتظنيّتُ، ويعدّه من الشذوذ الذي لا يقاس عليه مع أنه يعلّل ذلك بثقل التضعيف[٢].

ويخصص الصيمري في التبصرة والتذكرة فصلاً لذلك ويسوق هذه الأمثلة مشيراً إلى قول سيبويه: وكل هذا التضعيف فيه عربي جيد[٣]، يعني أنّ عدم حذف آخر المضعّف عربي جيد إذا قلت : تسرّرت وتظنّنْت ونحو ذلك[٤]، وهي عبارة توحي بأن حذف لام المضعّف وإقحام الياء عند الإسناد هو الأصل، وأنّ تركه عربي جيد كذلك .

وقد ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل قوله:"إذا أمّيْتَ قوما فأخف بهم الصلاة"[٥].

ومن الواضح أنّ القدماء قد أشاروا إلى هذه الظاهرة إشارات عابرة على الرغم من شيوعها بين ثنايا مؤلفاتهم في نصوص متشابهة تكاد تجمع على أنّها منتشرة في كلام العرب، وأنّ العربيّ قد

---

(١) ابن جني ،الخصائص: ٢/٩٠، ٩١
(٢) ابن يعيش: شرح المفصّل : ١٠/ ٢٤، ٢٥
(٣) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٢٤
(٤) الصيمري: التبصرة والتذكرة :٢/ ٨٣٤
(٥) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد، المكتب : ٤/٢٢

عمد إليها طلباً للخفة في نطقه، ولا خلاف في أنّ الغاية من هذا الإجراء الصوتي الذي لحق هذه الألفاظ هو طلب الخفة، إذ يميل المتكلم إلى الاقتصاد في الجهد، وهو ما عبرّ عنه القدماء بـ (كراهية اجتماع الأمثال) وكراهية التضعيف ... وغير ذلك من عبارات تدور حول هذا المعنى.

ومن اللافت للنظر أنّ القدماء الذين يضعون قاعدة صرفية، أو نحوية لشاهد واحد قد يكون مجهول القائل ، نجدهم يحكمون على هذه الظاهرة بالشذوذ، وهو حكم يتضارب مع كثرة انتشارها في كتب اللغة، والمعاجم، و اللهجات العربية المحكية في مختلف أقطار الوطن العربي في زمننا هذا .

إنّ هذه الظاهرة في هذا السياق ليست أكثر من سلوك لغوي يهدف إلى اتساق الفعل المضعّف الآخر مع طبيعة المقطع العربي، ويظهر لنا ذلك جلياً عند تحليل مقاطع هذه الألفاظ في الحالتين: الأولى التي يعدها القدماء هي الأصل، وهي عدم حذف آخر المضعّف، والثانية التي يعدّونها من باب الشذوذ ، وهي التي حذف فيها آخر المضعّف مع إقحام الياء، وفي كلتا الحالتين نعتقد أنه سلوك لغوي تلجأ إليه اللغة لتحقيق اتساق بناء الكلمة مع طبيعة النظام المقطعي .

إنّ المضعّف له ثلاثة أحكام: وجوب الإدغام نحو مدّوا ومدّا ومدَّتْ، و وجوب الفك نحو مددتُ، ومدَدْن، ومددْنا، وجواز الأمرين نحو لم يمدَّ ولم يمدُدْ، و قد اتضح لنا أن هذه الأوضاع ما هي إلا

وسائل تلجأ إليها اللغة لإعادة اتساق بناء المضعّف الثلاثي عند الإسناد إذا ما حدث خرق في طبيعة النسيج المقطعي لبناء الكلمة.

وكذلك الحال فإنّ حذف لام المضعّف و إقحام الياء هو من هذا القبيل، ولنأخذ مثالاً على ذلك الفعل أملَ، فعند إسناده إلى ضمائر الرفع يكون نسيجه المقطعي على النحو الآتي :

أمْلَلَ + تُ :/ ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح/

أملَلَ + تَ: / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح/

أملَلَ + تِ: / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح/

أملَلَ + نَ : / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح/

أمْلَلَ + نا : / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ح/

إن النسيج المقطعي للفعل عند إسناده إلى هذه الضمائر وقبل حذف لامه يتكوّن من أربعة مقاطع: الأول منها متوسط والثلاثة الأخرى صغيرة ومتتالية، كما هو موضح، وهو نسيج مقطعي مرفوض في العربية وتفرّ منه باللجوء إلى أحد أمرين: إما بتسكين لام الفعل، وفك الإدغام كما يأتي :

أمْلَلَ + تُ ← أمْلَلْ+ تُ ← أمللْتُ:/ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أملَلَ + تَ ← أمْلَلْ+ تَ ← أمْلَلْتَ:/ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أملَلَ + تِ ← أمْلَلْ+ تِ ← أمْلَلْتِ:/ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أملَلَ + نَ← أمْلَلْ+ نَ ← أمْلَلْنَ:/ ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

إذ يصبح النسيج المقطعي بهذا مكوناً من ثلاثة مقاطع: متوسطان، وقصير:/ ص ح ص /ص ح ص / ص ح /وهو نسيج مقطعي شائع ومألوف، و إمّا بحذف لام الفعل وإقحام الياء، على النحو الآتي:

أمْلَلَ+تُ← أمْلَ+ي+تُ ← أمْلَيْتُ:/ ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أمْلَلَ+تِ ← أمْلَ+ي+تِ ← أمْلَيْتِ:/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/

أمْلَلَ+تَ← أمْلَ+ي+تَ ← أمْلَيْتَ:/ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أمْلَلَ+نَ ← أمْلَ+ي+نَ ← أمْلَيْنَ:/ص ح ص /ص ح ص/ص ح/

أمْلَلَ+نَا← أمْلَ+ي+نَا ← أمْلَيْنَ:/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/

فيصبح النسيج المقطعي بهذا مكوناً من ثلاثة مقاطع: متوسطان وقصير: / ص ح ص /ص ح ص/ص ح/ وهو النسيج المقطعي نفسه عند تسكين اللام مع الفك، وهو كثير الشيوع ومألوف في العربية.

وكذلك الحال بالنسبة للمضعّف الثلاثي عند تضعيف عينه، ليصير على وزن فعّل، يتكون نسيجه المقطعي من اربعة مقاطع : متوسط و ثلاثة قصيرة متتالية وهو نسيج مستكره في العربية فالذلك لجأت اللغة للتخلص من هذا الخرق فيه مرةً بتسكين لام الفعل، مثل:

قصّصْتُ : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصّصْتَ : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصّصْتِ : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصّصْنَ : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصّصْنا : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح ح/

ومرة بحذف لامه واستبداله بالياء، مثل:

قصَّيْتُ: / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصَّيْتَ : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

صَّيْتِ: / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصَّيْنَ: / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح/

قصّيْنا : / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح ح/

وما ذلك إلا لتحقيق اتساق بناء الفعل مع طبيعة النسيج المقطعي وتصويب الخرق الذي حدث فيه .

وهكذا يتضح لنا أن حذف لام المضعف واستبداله بالياء ظاهرة متفشية في العربية، وأن القدماء قد أشاروا إليها إشارات سريعة، وعدوها من باب الشذوذ الذي لا يقاس عليه، مع كثرة الشواهد عليها، ونحن نرى أنها ظاهرة صوتية تنسجم مع القوانين الصوتية وأن اللغة تلجأ إليها إذا حدث خرق في النسيج المقطعي، وأنها وسيلة من وسائل اتساق بناء الكلمة مع طبيعة النسيج المقطعي .

خامسا : حذف عين المضّعف:

الحذف عند الصرفيين قسمان : قياسي وغير قياسي ، ومن الحذف القياسي عندهم حذف عين المضعّف عند إسناده للضمير المتحرّك، ويجيزون فيه ثلاثة أوجه: الإتمام بدون حذف مثل: ظَلِلْتُ،

وحذف العين مع نقل حركتها للتاء مثل: ظِلْتُ وحذف العين بدون نقل حركتها مثل ظَلْتُ ، وإن زاد على ثلاثة تعيّن فيه الإتمام مثل : أقرَرْتُ وكذلك إنْ كان مفتوح العين ولوكان ثلاثياً مثل : حَلَلْتُ[١] .

وما جاء مخالفاً لهذا حكموا عليه بالشذوذ ، يقول سيبويه في باب ما شذّ من المضعاف فشبه بباب أقْمت." وذلك قولهم: أحَسْتُ ، يريدون أحْسَسْتُ، وأحَسْنَ ، يريدون أحْسَسْنَ، وكذلك تفعل به في كل بناءٍ تبني اللام من الفعل فيه على السكون، ولا تصل إليها الحركة، شبهّوها بأقمت، لأنهم أسكنوا الأولى، فلم تكن لتثبيت الآخرة ساكنة"[٢] .

وعلى الرغم من أنّ سيبويه يعد هذا من باب الشذوذ إلاّ انه يشير في كلامه إلى تعميم هذه الظاهرة الصوتية وذلك في قوله " وكذلك تفعل به في كل بناءٍ تبني اللام من الفعل فيه على السكون ولا تصل إليها الحركة ، شبهوها بأقمت[٣] .

إنّ عبارة سيبويه تشير إلى تسكين آخر الفعل (أو حذف الحركة) عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة نحو : فهمْت وفهمْن وفهمنا ... الخ ، وقد رأينا أنّ هذا الإجراء الصوتي ما هو إلاّ وسيلة من وسائل اتساق الفعل مع طبيعة النظام المقطعي إذا ما حصل في النظام خلل، والسبب ذاته وراء حذف عين المضعَّف

---

١) الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف:١٥٢
٢) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٢١
٣) المصدر السابق: ٤/ ٤٢١

الثلاثي، إذ الغاية من ذلك كله اتساق البنية مع طبيعة المقطع، ويظهر لنا ذلك في الأوجه الثلاثة:

الوجه الأول في حالة الإتمام: وهنا يحدث الاتساق من خلال السكون (أو حذف الحركة) كما في: ظَلِلْتُ ، إذ يتكون النسيج المقطعي قبل حذف الحركة من أربعة مقاطع صغيرة متتالية، وهو نسيج مرفوض كما في:

ظَلِلَ + تُ : /ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / وبحذف حركة لام الفعل الثانية يتسق النسيج المقطعي للفعل مع طبيعة النظام ويصبح على النحو الآتي:

ظَلِلْتُ /ص ح / ص ح ص / ص ح / وهو نسيج مألوف وكثير الانتشار، وينسحب هذا على إسناد الفعل إلى بقية ضمائر الرفع المتحركة :

ظَلِلْتَ/ص ح / ص ح ص / ص ح /

ظَلِلْتِ/ص ح / ص ح ص / ص ح /

ظَلِلْنَ /ص ح / ص ح ص / ص ح /

ظَلِلْنا /ص ح / ص ح ص / ص ح ح/

الوجه الثاني في حالة حذف عين الفعل مع نقل حركته للفاء: فقبل هذا الاجراء الصوتي يتكون النسيج المقطعي من أربعة مقاطع صغيرة متتالية، وهو نسيج مقطعي مرفوض كما ذكرنا آنفا، ظَلِلَ+تُ/ص ح/ ص ح / ص ح / ص ح / وبحذف عين الفعل ونقل حركته للفاء يصير منسجما مع طبيعة النظام على النحو الآتي :

ظِلْتُ :/ ص ح ص / ص ح /

ظِلْتَ :/ ص ح ص / ص ح /

ظِلْتِ :/ ص ح ص / ص ح /

ظِلْنَ :/ ص ح ص / ص ح /

فيتكون النسيج من مقطعين متوسط وقصير، وهو نسيج مألوف ومنتشر بكثرة في العربية.

الوجه الثالث حذف العين بدون نقل الحركة: كما في ظَلْتُ، وهنا يتكرر الأمر نفسه كما حصل في الوجه الثالث، إذ لا فرق في أن تكون الحركة فتحة أو كسرة، لأن حركة فاء الفعل هي الفتحة وهي الحركة الأصلية.

وبهذا يبدو جليا أن هذا الإجراء الصوتي الذي حدث من خلال حذف عين المضاعف ما هو إلا وسيلة من وسائل اتساق بناء الكلمة مع طبيعة النظام المقطعي في العربية.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

١. أنّ الاتّساق سمة بارزة في نظام اللغة العربية، ومنها النظام الصرفي، وتجلّى لنا هذا في الفعل المُضعَّف عند إسناده إلى ضمائر الرفع.

٢. حاولت هذه الدراسة إبراز أدوات الاتساق التي تتخذها اللغة في الفعل المُضعَّف عند إسناده إلى ضمائر الرفع.

٣. من أدوات اتساق الفعل المضعّف عند إسناده إلى ضمائر الرفع إدغام الصوت المُضعّف، سواء كان هذا الإدغام واجبا كما في المواضع التي حددها الصرفيون، أو جائزا في المضارع إذا أسند إلى اسم ظاهر، أو ضمير مستتر وكان مجزوما ، أو ممتنعا، وذلك إذا اتصل به ضمير رفع متحرّك في الماضي، أو إذا أُسند إلى نون النسوة في الأمر.

٤. حذف لام المضعّف مع إقحام الياء ظاهرة متفشية في العربية، وقد أشار إليها القدماء إشارات سريعة، وعدوها من باب الشذوذ الذي لا يقاس عليه، مع كثرة الشواهد عليها، وهي ظاهرة صوتية تنسجم مع القوانين الصوتية، و تلجأ إليها اللغة كوسيلة من وسائل اتساق بناء الكلمة مع طبيعة النسيج المقطعي إذا حدث خرق في طبيعة النظام .

٥. ومن أدوات الاتساق حذف عين المضعّف عند إسناده للضمير المتحرّك، ويجوز فيه ثلاثة أوجه: الإتمام بدون حذف، وحذف العين مع نقل حركتها للتاء، وحذف العين بدون نقل حركتها.

٦. أنّ الثقل الناجم عن التضعيف الذي أشار إليه القدماء ليس من جرّاء استعمال اللسان من موضع واحد كما يقولون، و إنما هو مرتبط بأمور أخرى، منها اتساق بناء الكلمة مع طبيعة المقطع الصوتي.

٧. إنّ كثيرا من القضايا الصرفية يمكن إعادة النظر فيها في ضوء علم اللغة المعاصر، وربط الكثير منها بما خلص إليه علماؤنا القدماء، أصحاب السبق والريادة في الدراسات اللغوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. العالم

٢. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي.

٣. ابن السراج، محمد بن سهيل(١٩٨٥) : الأصول في النحو ط١، بيروت .

٤. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت.

٥.الاستراباذي، محمد بن الحسن(١٩٨٢): شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. الأنصاري، ابن هشام (١٩٨٥): شرح جمل الزجاجي ط١، تحقيق علي محسن عيسى، عالم الكتب، بيروت.

٨. برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، والرفاعي، الرياض.

٩. بشر، كمال محمد: علم اللغة العام ، الأصوات اللغوية، مكتبة الشباب، مصر .

١٠. الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف ، المكتبة العلمية بيروت لبنان.

١١. حجازي، محمود فهمي (١٩٧٨): مدخل إلى علم اللغة، ط٢، دار الثقافة ، القاهرة.

١٢. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قمبر(١٩٨٣) : الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣،عالم الكتب.

١٣. شاهين، عبدالصبور(١٩٨٠م): المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت .

١٤.الشايب، فوزي حسن(١٩٩٩) : محاضرات في اللسانيات، ط١،منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن .

١٥. الصيمري، عبدالله بن علي(١٩٨٢): التبصرة والتذكرة ط١، تحقيق فتحي أحمد علي الدين، دار الفكر، دمشق.

١٦. عبدالتواب، رمضان(١٩٨٥): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ط٢، دار الخانجي، القاهرة .

١٨. عبد القادر، عبد الجليل(٢٠٠٢): علم اللسانيات الحديثة، دار صفا للنشر والتوزيع.

١٩. عبده، داود(١٩٧٣) : أبحاث في اللغة العربية،مكتبة لبنان، بيروت .

٢٠. الفراء، يحيى بن زياد، (١٩٨٣): معاني القرآن ط٣، عالم الكتب، بيروت.

٢١. فندريس، جوزيف،(١٩٥٠): اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

٢٢. المراغي، أحمد مصطفى، وعلي، محمد سالم: تهذيب التوضيح، ط٩، المكتبة التجارية الكبرى، مصر .